الــنــشــرة

العدد ٢٧/٢٠٢٠

الأحد ٥ تمّوز ٢٠٢٠

تذكارُ البارّ أثناسيوس الآثوسيّ والبارّ لمباديوس العجائبيّ

اللّحن الثالث

إنجيل السَّحَر الرابع

الرِّسالة

(عبرانيّين ١٣: ٧-١٦)

يا إِخْوَةُ، اذكُروا مُدَبِّريكُمُ الَّذينَ كَلَّموكُم بِكَلِمَةِ الله. تَأَمَّلوا في عاقِبَةِ تَصَرُّفِهِم وَاقْتَدوا بِإيمانِهِم. إنَّ يَسوعَ المَسيحَ هُوَ هُوَ أَمْسِ واليَومَ وإلى مَدى الدَّهر. لا تَنقادوا لِتَعاليمَ مُتَنَوِّعَةٍ غَريبة. فَإِنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ يُثَبَّتَ القَلْبُ بِالنِّعْمَةِ لا بِالأَطْعِمَةِ الَّتي لَمْ يَنْتَفِعِ الَّذينَ تَعاطَوْها. إنَّ لَنا مَذْبَحًا لا سُلْطانَ لِلَّذينَ يَخْدُمونَ المَسْكِنَ أَنْ يَأكُلوا مِنْهُ، لأَنَّ الحَيَواناتِ الَّتي يُدْخَلُ بِدَمِها عَنِ الخَطيئَةِ إلى الأَقْداسِ بِيَدِ رَئيسِ الكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُها خَارِجَ المَحَلَّة. فَلِذَلِكَ يَسوعُ أَيْضًا تَأَلَّمَ خارِجَ البابِ لِيُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِه. فَلْنَخْرُجْ إِذًا إِلَيْهِ، إلى خارِجِ المَحَلَّةِ، حامِلينَ عارَهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ لَنا هَهُنا مَدِينَةٌ باقِيَةٌ بَلْ نَطْلُبُ الآتِيَة. فَلْنُقَرِّبْ بِهِ إِذًا ذَبيحَةَ التَّسبيحِ كُلَّ حِينٍ، وهِيَ ثَمَرُ شِفاهٍ مُعْتَرِفَةٍ لاسْمِهِ. لا تَنْسَوا الإِحْسانَ والمُؤَاساةَ، فَإِنَّ اللهَ يَرْتَضي مِثْلَ هَذِهِ الذَّبائح.

الإنجيل

(متّى ٨: ٥-١٣)

في ذَلِكَ الزَّمانِ دَخَلَ يَسوعُ كَفْرَناحومَ، فَدَنا إِلَيْهِ قائِدُ مِئَةٍ وطَلَبَ إِلَيْهِ قائِلًا: «يا رَبُّ، إِنَّ فَتايَ مُلقًى في البَيْتِ مُخَلَّعًا يُعَذَّبُ بِعَذابٍ شَديد». فَقالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنا آتِي وأَشْفِيه». فَأَجابَ قَائِدُ المِئَةِ قائِلًا: «يا رَبُّ، لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفي، ولَكِنْ قُلْ كَلِمَةً لا غَيْر فَيَبْرَأَ فَتايَ. فَإِنِّي أَنا إِنْسانٌ تَحْتَ سُلْطانٍ، ولِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي، أَقُولُ لِهَذا اذْهَبْ فَيَذْهَبُ ولِلآخَرِ ائْتِ فَيَأْتي ولِعَبْدي إِعْمَلْ فَيَعْمَلُ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ وقالَ لِلَّذينَ يَتْبَعُونَهُ: «الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَمْ أَجِدْ إِيمانًا بِمِقْدارِ هَذا ولا في إِسْرائيل. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثيرينَ سَيَأْتُونَ مِنَ المَشارِقِ والمَغارِبِ ويَتَّكِئونَ مَعَ إِبْراهيمَ وإِسْحَقَ ويَعْقوبَ في مَلَكوتِ السَّماوات، وأَمَّا بَنُو المَلَكُوتِ فَيُلْقَوْنَ في الظُّلْمَةِ البَرَّانِيَّةِ، هُناكَ يَكونُ البُكاءُ وصَرِيفُ الأَسنان». ثُمَّ قالَ يَسوعُ لِقائِدِ المِئَة: «إِذْهَبْ، وَلْيَكُنْ لَكَ كَما آمَنْتَ». فَشُفِيَ فَتاهُ في تِلْكَ السَّاعَة.

صَلاةُ السَّحَر

تقيم كنيستنا المقدّسة، مع بزوغ نور النهار، خدمة صلاة السَّحَر، التي نشكر فيها الله الذي أجازنا مسافة اللّيل بلا خطيئة، وأهّلَنا أن نستيقظ لتسبيحه وتمجيده وطَلَبِ معونته حتّى

يؤازرنا كي نعمل مشيئته في هذا العالم. خدمة صلاة السَّحَر، كباقي الصلوات اليوميّة، تحوي في طيّاتها ثلاثة صُعد: الخَلق (بدء الكون وسقوط آدم)، التدبير الخلاصيّ (تجسّد المسيح والعمل الخلاصيّ الذي يكتمل في المجيء الثاني)، والصعيد الشخصيّ (إرتباط حياتنا الشخصيّة بالتدبير الخلاصيّ وكيف يجب أن تكون حياتنا كي نخلص).

سنتحدّث عن معنى صلاة السَّحَر ولاهوتها إنطلاقًا من هذه الصُعد:

١- **صعيد الخَلق:**

تشير صلاة السَّحَر إلى ظهور النور في أوّل الخلق؛ فالنور هو أوّل ما خلقه الله: «وقال الله: ليكن نورٌ، فكان نورٌ. ورأى الله النورَ أنّه حسنٌ» (تك ١: ٣-٤). تحتفل الكنيسة، مع الفجر، ببزوغ النور بعد ظلمة اللّيل، وتعلن انطلاق يوم جديد وفرصة جديدة لكي يتقدّس الإنسان إذا سار في نور المسيح القائل: «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢)، والسائر في نور المسيح لا يعثُر أبدًا. من هنا، درجَت العادة في الأديرة أن يحاولوا الإنتهاء من صلاة السَّحَر مع شروق الشمس، إذ إنّهم يرتّبون مواعيد الصلوات بحسب تبدُّل توقيت غروب الشمس وشروقها، فيرتّلون المجدلة الكبرى (المجد لك يا مُظهر النور...) مع بزوغ ضوء النّهار. يقول أحد اللاهوتيّين المعاصرين: «صلاة السَّحَر هي تمجيد وشكر لله، خالق ومعطي الخيرات، الذي أهّل مخلوقاته أن يعبروا اللّيل ويعاينوا نور النهار مجدَّدًا. النور الحسّيّ (نور الشمس)، الذي ينير هذا العالم، هو رمز ونموذج للنور الحقيقيّ، المسيح الذي ظهر وسط الظلمات وأطلع في قلوبنا نور معرفته الإلهيّة».

إذًا، مع ظهور نور الشمس المخلوق، نسبّح نور الآب غير المخلوق، الكلمة المتجسّد، الربّ يسوع المسيح، ونمجّد «الثالوث القدّوس المتساوي في الجوهر وغير المنقسم». نسبّح مبتهجين وقائلين: «الله الربّ ظهر لنا، مبارك الآتي باسم الربّ». يدعونا القدّيس إقليمس الإسكندريّ (١٥٠-٢١٥) أن نتّجه إلى الشرق ونصلّي مع كلّ ولادة يوم جديد وإشراق نورٍ من الظلمة، لأنّ المسيح هو نور العالم وشمس العدل المرموز إليه بالشمس البازغة من الشرق.

٢- **صعيد التدبير الخلاصيّ:**

ترمز صلاة السَّحَر إلى أمرَين: ميلاد المسيح وقيامته.

+ يرى المؤمنون، في إشراق شمس كلّ يومٍ جديدٍ، صورةَ ولادة المسيح الآتي لينير ظلمات هذا العالم ويُطلع في قلوب البشر نورَ معرفته الإلهيّة. يرون شمس العدل الحقيقيّ الذي أشرق من داخل أحشاء والدة الإله الدّائمة البتوليّة من أجل خلاص البشر. لذلك، نردّدُ ما قالته الملائكة عند ولادة الربّ يسوع في بدايةِ صلاة السَّحَر، أي قبل الشروع بقراءة المزامير الستّة، وفي نهايتها مع المجدلة الكبرى: «المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة» (لو ٢: ١٤). تبشّرنا هذه الكلمات بولادة خلاصنا الصائر بميلاد الربّ يسوع بعدما سقطنا في ظلمة الخطيئة وليلِها. لذلك، بعد قراءة مزامير السَّحَر الستّة، التي هي مزامير توبةٍ

وصرخةُ استغاثةٍ للحصول على خلاص الربّ، يُعلن المرتّل: «الله الربّ ظهر لنا، مبارك الآتي باسم الربّ». نسبّح، في صلاة السَّحَر، الإبن المولود من الآب قبل كلّ الدهور، الظاهرَ إنسانًا في آخر الأزمنة والمتّخذَ من العذراء طبيعتَنا البشريّة ليخلّصها. نشكره على تجسّده من أجل خلاصنا، وعلى منحِنا إمكانيّة العودة إلى الملكوت السماويّ والولادة من جديد.

+ ترمز صلاة السَّحَر أيضًا إلى ساعة القيامة (سَحَرًا جدًّا)، حين أتت حاملات الطيب إلى القبر «وقد طلعت الشمس» (مر ١٦: ٢)، فتلقَّين من الملاك بشرى القيامة. نتذكَّر مع الشمس الشارقة، وتحوُّلِ اليوم الجديد من الظلمة إلى النور، قيامةَ المسيح من بين الأموات، التي بها أقامنا من ظلمة الخطيئة إلى نور الخلاص عندما «أجازنا من الموت إلى الحياة». لذا، في سَحَر الآحاد، نرتّل طروباريّات القيامة بعد «الله الربّ ظهر لنا»، التي هي أناشيد النصر والظفر للمسيح القائم. نرتّل في سَحَرِ أيّام الأسبوع طروباريّات القدّيسين الذين آمنوا بالمسيح القائم من بين الأموات فأصبحوا مواطني الملكوت، وصاروا مِثالًا نحتذي به لكي نرث الملكوت. تتوالى الترانيم القياميّة صباح الأحد بشكل تصاعديّ معلنةً لنا بشرى القيامة. فبعد الطروباريّات، نرتّل تبريكات القيامة (مباركٌ أنت يا ربّ علّمني حقوقك) وبعدها نقرأُ إنجيل السَّحَر الذي يعلن قيامة المسيح، ونقول بعدَه «إذ قد رأينا قيامة المسيح». بعدئذٍ نُكملُ الإنشادَ للقيامَة مع «كلّ نسمة فلتُسَبِّحِ الربّ». تتوَّج الإعلانات القياميّة في آخر صلاة السَّحَر بترتيل: «اليوم صار الخلاص للعالم فلنسبّح الذي قام من القبر عنصر حياتنا، لأنّه إذ قد حطّم الموت بالموت منحَنا الظفر والرحمةَ العظمى».

٣- الصعيد الشخصيّ:

ضمن هذا المجال التقديسيّ، نشكر الله على ليل هادئٍ بلا خطيئة. لقد منحنا أن نرى يومًا جديدًا نحيا فيه عاملين بحسب وصاياه من أجل خلاصنا. نشكره على يومٍ جديدٍ وخلاصٍ جديد بيسوع المسيح. نشكره على الخيرات السابقة التي حصلنا عليها وعلى الخيرات التي سيُنعم علينا بها. ننطلق مع صلاة السَّحَر مكرّسين أولى خطوات حياتنا للربّ ليقودها هو، فيكون يومُنا الحاضر صورةً لليوم الأخير عند المجيء الثاني. يشبّه القدّيس يوحنّا السلّميّ (القرن الرابع) صلاة الصبح بدعوةِ صاحب الكرم للفَعلَة من أجل العمل في كرمه منذ الصباح الباكر (مت ٢٠). يُخبِر هذا المَثَل، الذي هو من أمثلة الملكوت، عن الذي خرج وعمل منذ الصباح الباكر، من الساعة الأولى، وضَمنَ أجره باكرًا. أجرُ صلاة السَّحَر هو الدخول إلى ملكوت السماوات. يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم: «إنّ المسيحيّين يسجدون على ركبهم في الصباح ويشكرون الله محورَ حياتهم... وبعد الوقوف والإنتهاء من الصلوات، وقد أشرقت الشمس، يخرجون إلى العالم ويجمعون مؤونةً لمساعدة المحتاجين». أعمالُ الإنسان في النهار يجب أن تعكس الإيمان بالإله الذي يسبّحه في السَّحَر، وهكذا يتهيأ للملكوت، الذي نصلّي أن يؤهِّلَنا الربّ لدخوله فنحظى بمعاينة نوره الذي لا يغرب أبدًا.

القدّيس يوسُف الدِّمَشقيّ

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ١٠ تمّوز للقدّيس الشهيد في الكهنة يوسف الدمشقيّ. هو الأب يوسف بن جرجس بن موسى بن مهنّا الحدّاد. يعرِّف عن نفسه بأنّه «بيروتيّ الأصل، دمشقيّ الموطن وأرثوذكسيّ المذهب». كان والده تقيًّا، وقد انتقل إلى دمشق في الربع الأخير من القرن الثامن عشر حيث مارس صناعة النسيج، ثمّ تزوج ورُزق ثلاثة أبناء: موسى وإبراهيم ويوسف.

وُلد يوسف في دمشق، في أيّار ١٧٩٣. تلقّى مبادئ اللّغتين العربيّة واليونانيّة، لكنّ وضع أُسرته الماديّ جعله ينصرف إلى العمل بكدّ في صناعة الحرير، بينما كانت نفسه تنزع إلى العلم. كان يغتنم وقت فراغه، خصوصًا في اللّيل، ليطالع الكتب. عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انكبّ على مطالعة كتب أخيه موسى الذي كان قد سبق رقاده، لكنّه لم يفهمها، فحزن واتّصل بعلّامة عصره، الشيخ محمد العطّار الدمشقيّ، ليعلِّمه اللّغة العربيّة والبيان والمناظرة والمنطق والعلوم العقليّة. رأى يوسف أنّ نفقات التعليم وثمن الكتب قد أثقلت كاهلهُ، فتابع المطالعة بنفسه. وقعت يده على قاموس بالعربيّة واليونانيّة فحفظ مفرداته، ثمّ أُخِذَ بالتعريب عن اليونانيّة، وكان يقابل التوراة والمزامير مع أصلهما ويتدرّب على الترجمة حتّى أتقنها.

كان قدّيسنا مجتهدًا في العمل نهارًا، والدراسة ليلًا. لمّا رآه والداه على هذه الحال من الاجتهاد، منعاه عن المطالعة خوفًا على صحّته، وخوفًا من فقدانه مثلما فقدا بكرهما موسى الذي خسر صحّته بسبب الدَّرس والنَّسخ. لما عيل صبرهما، أرادا أن يصرفا أفكاره عن العلم بالزواج، فزوّجاه سنة ١٨١٢ من فتاة تُدعى مريم، وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره.

عندما رأى الشعب الدمشقيّ اجتهاد يوسف وحسن سيرته، سألوا البطريرك سيرافيم أن يرقّيه إلى درجة الكهنوت. سامه شمّاسًا ثمّ كاهنًا بعد أسبوع واحد سنة ١٨١٧. ذاع صيت الكاهن يوسف، إذ تكرّس لخدمة كنيسته، ولم ينقطع عن الإرشاد والتعليم والتعريب والنسخ والتصحيح وخدمة البطاركة في كتاباتهم ووكالة البطريركيّة بلا مقابل. حَفِظَ المزامير ومعظم الكتاب المقدّس عن ظهر قلب، ولم يقف اجتهاده عند هذا الحدّ، بل اهتمّ بإنشاء مدرسةٍ، فتحت أبوابها سنة ١٨٣٦، ضمّ إليها كثيرًا من تلاميذه الذين كان يدرِّسهم في بيته، إضافةً إلى غيرهم من ضواحي سوريا ولبنان، ليثقّف عقولهم ويرشّحهم للكهنوت فيخدموا الرعيّة خدمة نافعة.كانت المدرسة شغله الشاغل، فوضع لها وكلاء لإدارة شؤونها.

كان يعظ في الكنيسة ويمنع الشعب عن العادات السيّئة. كان كلامه مؤثّرًا في النفوس. استطاع تغيير الكثير من عادات الخطبة والعرس والمآتم لتوافق الروح المسيحيّة. لما رآه البطريرك ميثوديوس (١٨٢٤-١٨٥٠) غيورًا وتقيًّا وعالمًا، رقّاه إلى درجة «مدبّر عظيم في الكرسيّ الأنطاكيّ». أخذ في تثقيف الكهنة بالعقائد، وفي سنة ١٨٤٩ عزم البطريرك الأورشليميّ كيرلّس الثاني (١٨٤٥-١٨٧٢) على تأسيس مدرسة إكليريكيّة، فطلب إليه

التدريس فيها مقابل راتب مُغرٍ. إعتذر قدّيسنا وأرسل مكانه أحد تلامذته النوابغ الذي ترك أفضل الآثار في المدرسة وفي مطبعة القبر المقدّس. كان الأب يوسف يفضّل خدمة كنيسته المحلّيّة وقد قال مرّةً: «إني دُعيتُ لخدمة هذه الرعيّة دون سواها والذي دعاني يكفيني».

كان همّهُ الوحيد أن يكون بطاركة الطائفة مسالمين لجيرانهم ومُواطنيهم، بسبب الخلاف المستفحل بين الأرثوذكسيّين والكاثوليكيّين في حلب على عهد البطريرك سيرافيم، وفي دمشق على عهد البطريركَين ميثوديوس ومكسيموس المظلوم.

لمّا رقد البطريرك ميثوديوس سنة ١٨٥٠، أوقف لمواطنيه في جزيرة نكسوس ١٤،٠٠٠ ليرة جمعها من أنطاكيا. أثّر ذلك في نفس القدّيس، فبدأ يسعى إلى انتخاب بطريرك وطنيّ خلفًا لميثوديوس. لم يُوَفَّق بذلك، لكنّه وضع الحجر الأول لهذا السعي الذي تحقّق سنة ١٨٩٨ بعناية تلامذته، لا سيّما غفرئيل شاتيلا مطران بيروت ولبنان، وجراسيموس يارد مطران سلفكية (زحلة وصيدنايا ومعلولا) والبطريرك ملاتيوس الدوماني. كانت للقدّيس يوسف اليد الطولى في تأسيس هذه النهضة، وقد قال عنه المطران غفرئيل: «كواكب دمشق ثلاثة: بولس الرسول والقدّيس يوحنّا الدمشقيّ والخوري يوسف مهنّا الحدّاد».

صرف الكاهن يوسف حياته في الاجتهاد من أجل نموّ كنيسته علميًّا وروحيًّا إلى أن نشبت أحداث سنة ١٨٦٠ في دمشق، فبقي يشجّع مواطنيه ويقوّيهم حتّى لم يبقَ من حيلة للنجاة. لمّا رأى أنّ الجميع فرّوا وبقي بمفرده، ذهب إلى الكنيسة المريميّة الكبرى حاملًا الذخيرة المقدّسة (الجسد والدّم الإلهيَّين) وبات تلك اللّيلة هناك مع مَن كانوا يحتمون فيها، يقوّيهم بأحاديثه التقويّة ويقصّ عليهم سير الآباء القدّيسين وعذاباتهم. صباح اليوم التالي، الثلاثاء ٢٨ حزيران (١٠ تمّوز بحسب التقويم الجديد)، هوجمت الكنيسة المريميّة. ففرّ قدّيسنا ببعض مواطنيه والذخيرة المقدّسة في جيبه، وقبل أن يسقط قتيلًا، تناول قربان الذخيرة. بعدها هُشِّمت جثّتهُ تهشيمًا.

ألا مَنَحَنا الربّ الإله أن نتشبَّه بهذا الخادم الأمين، كلٌّ منّا بحسب موهبته، وأن نكون جنودًا صالحين لخدمة كنيستنا ووطننا بشفاعة هذا القدّيس «البيروتيّ» الشهيد في الكهنة يوسف مهنا الحداد الدمشقيّ.

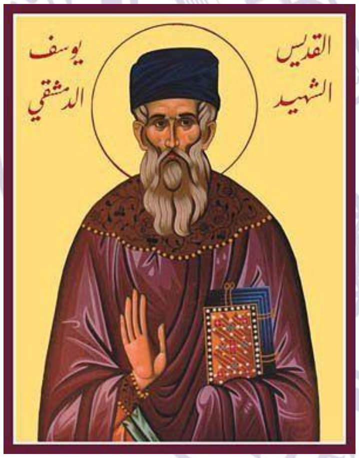

للإطِّلاع على أخبار الأبرشيّة

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb